ترجمة عربيَّة قديمة

من الانجيـــل الطاهر

بقلم الاديب يوسف افـــدي اليان سركيس

أ تعريف صاحب الترجمة

بينما نحن نتمتع باستنشاق الهواء الصـــافي في ربوع لبنان تردَّدنا بعض الايام الى دير الشرفة في جبل كسروان وتصفَّحنا مخطوطاته القديمة التي بينها عدَّة آثار نفيسة. وما لبثت بتيَّة الاديرة في لبنان تُنظِّم خزائن كتبها القديمة وتفتح ابوابها لطلبة العلم فكانت تخدم بذلك الآداب خدمة تُذكر فتشكر.

وفيما نقلّب كنوز مكتبة الشرفة المذكورة اطّلعنـــا على نسخة قديمة جدًّا من الانجيل الطاهر (١ رتَّبها وزاد عليهـــا قليلًا من الشروحات في بعض المواطن احد علماء النـــاطرة الشهيرين وهو « يشوعياب بن ملكون » الذي لم نعهد ان احد المستشرقين نسب اليه هذا الاثر النفيس. فقد رأينا في المكتبة السمعانية مع ترجمة هذا الكاتب الشهير شرح مؤلفاته فاخذنا منها ما يأتي:

قال العلّامة يوسف سمعان السمعاني في الجزء ٣ من مكتبتـــه (ص ٢٩٥) ما تعريبهُ:

« يشوعياب (٢ بن ملكون مطران صوبا اي نصيبين لهُ مسائل غرماطيقية سريانية ورسائل وبيامر وقد سامهُ بابالاهـــا الثاني البطريرك الذي كان قد دبَّر سابقًا كنيسة صوبا اي نصيبين. وكانت سيامته في سنة ١٥٥١ يونانية الموافقة لسنة ١١٩٠ المسيحية وهو ذاته رسم سبريشوع ابن اخي بابالاها وخليفته في الكرسي البطريركي بعد ذلك باثنتين وثلاثين سنة اعني السنة اليونانية ١٥٣٣ (١٢٢٢م). . . وتوفي يشوعياب في ايام سبريشوع آخر المعروف بابن المسيح البغدادي

---

١) تكلَّم المشرق (٩:٦٧) عن النسخ العربية القديمة من الانجيـــل الطاهر وقال في آخر مقالته (ص ١٠٨): « لا نشك في وجود نسخ أُخر عند الخاصة. . . وفي بعض الاديرة والكنائس فنستنهض همة الاديباء ليبحثوا عنها ما استطاعوا. . . » اه. فتمنينا نابي دعوته ونفيدهُ عن نسخة جليلة لم يذكرها في مقالته » (٢ والاولى ان يُكتب هذا الاسم يشوعيب ومعناهُ في السريانيَّة « يسوع اعطى » وكان اصلهُ من دنيسر على بعد فرسخين من ماردين (المشرق)

بعد ان اختار لتدبير كرسي نصيبين مشيحا الذي رُقّي بعدئذٍ الى البطريركيّة سنة ١٥٦٨ (١٢٥٧م) كما روى عمرو بن متّى»

هذا كل ما كتبهُ العلّامة يوسف سمعان السمعاني في ترجمة مار يشوعياب بن ملكون. ثم اخذ يعدّد تآليفهُ وينتقدها فذكر اولًا كتابهُ الموضوع في المسائل الغرماطيقيّة او مسائل نحويّة في اللغة السريانيّة وقال ان لهُ ميامر ورسائل وعونيثات (مدائح كنسيّة) ثم كتاب عربي في امانة السريان المشارقة كتب في اولهِ:

«امانة يعتقدها النصارى السريانيون المشارقة من انشاء الاب القديس ايشوعياب مطران نصيبين المعروف بابن ملكون قدّس الله نفسه وطهر روحهُ ورزقنا بركة صلوته امين»

ولهُ رسائل عربيّة ايضًا ورد في عطاويا انهُ كان مطرانًا على نصيبين وارمينية وبين رسائلهِ مديح امانة النساطرة ضد البطريرك اغناطيوس اليعقوبي

اما تأليفهُ الذي هو اكثر شهرة من الجميع وقد وصفهُ السمعاني مطوّلًا في الجزء الثالث من مكتبتهِ فهو: «كتاب البرهان على صحيح الايمان» موجود نسخة منهُ في الخزانة الواتيكانيّة تحت عدد ٤٩ وهو يتضمّن ردًّا على الملكيّة واليعقوبيّة لاثبات مذهب ملّة النسطوريّة. وفي هذا الكتاب نفسه يذكر الطائفة المارونيّة (١

هذا وليشوعياب بن ملكون أثر لم يذكرهُ السمعاني في مكتبتهِ ولعلّهُ جهلهُ كما لم يعرفهُ غيره من العلماء. ولم نجد ذكرًا لهذا الكتاب في الخزائن الاوربيّة(٢

٢ وصف الكتاب وذكر بعض نُبَذ منهُ

هو كتاب قديم قد حرص عليهِ اصحابهُ وصانوهُ بكل اهتمام وهو مكتوب بقلم سلس مُشرق وقد جُلّد جلدًا قديمًا وقياس ورقهِ ٢٥ سنتيمترًا في طولهِ و١٧ س في عرضهِ يبلغ عدد اوراقه ١٣٨ وفي كل صفحة منهُ ١٧ سطرًا. يبتدئ هكذا:

(١ راجع كتاب جامع الحجج الراهنة للمطران اقليمس داود (ص ٢٤١ من النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٨) (٢ وترى في الملحق ان عبد يشوع الصوباوي ذكرهُ في مقدّمتهِ. وكذلك ليشوعياب بن ملكون خطب كنسيّة مسجّعة طُبع بعضها في الموصل في جملة التراجيم السنيّة للاعياد المارانيّة لاليًا الثالث المعروف بابي الياس (ص ١٥٠ و ١٦٠) (المشرق)

بسم الله الرحمن الرحيم

« كتاب الانجيل الطاهر مفصلًا فصولًا تقرى في الروازين (١ الواقعة في دايرة السنة على ترتيب الدير الاعلى (٢ ويعرف الان بالطخس الموصلي »

ثم وضع لكل احد وعيد وتذكار انجيلًا خصوصيًا لا يقلّ الواحد منهُ عن ثلاث صفحات وعلى هامش الكتاب سطّر « عنيتُهُ » اي لحنهُ او اغنيتهُ. وقد ابتدأ من الاحد الاول من السبار (٣ فقال:

« الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح من بشارة لوقا الرسول يقول:

« لمّا اثر كثيرون من المترجمين كاصحاب سيمون ان يكتبوا قصص الامور المسيحية التي نحن المسيحيون بها عارفون. على ما سلّم الينا تقليد الاثني عشر الذين كانوا من الاول مشاهدين السيد المسيح وخدماً لكلمة عامه. رأيت انا ايضاً لمّا كنت قريباً جميع وشدة حرصي من جميعهم ان اكتب لك كل شيء منها على كنهه ورتبته ايها السيد المحب لله تأويل. لتعلم حقيقة الكلمات التي تثبّتها وآمنت بها. وذاك انهُ كان في ايام هيرودس الملك على اليهود كاهن واحد اسمهُ زكريًا من خدمة آل ابيا (٤ وهي فرقة رئيس من بني لاوي. وكان لهُ امرأة من بنات هارون وكان اسمها اليشبع. وكانا كلاهما صديقين بارين امام الله تعالى. وباوامره كلها سايرين عاملين. وكانا في عدل الرب كاملين غير ملامين. الخ »

هذا جزء من الجيل الاحد الاول من السبار نقلناهُ على علّاته. ثم نقلنا انجيلًا آخر برتبته وهو انجيل « يوم عيد ميلاد سيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح بالجسد من آل داود من انجيل لوقا الرسول ». قال:

« وفي تلك الايام بعد ميلاد يوحنا المعمدان بستّة اشهر خرج الامر من اغسطس قيصر الملك الروماني على اليهود ان يكتب جميع شعب ملكهِ وولايتهِ لاخذ الجزية ولرد كل انسان الى وطنهِ.

---

١) الروازين من كلمة سريانية رازين /ܪܙܝܢ/ ومعناها الاسرار المقدّسة او رتبة القداس

٢) الدير الاعلى هو الدير المعروف باسم مار /ܡܪܝ/ حنّا وموقعه بالقرب من الموصل ورد وصفهُ في مراصد الاطلاع (١ : ٤٢٣) هكذا: « دير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة يضرب بهِ المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ويقال انهُ ليس للنصارى دير مثلهُ لما فيهِ من اناجيلهم وتعبداتهم. . . »

٣) السبار صُحُفٌ /ܣܦܪܐ/ هي البشارة وتطلق هذه الكلمة على الزمن الكنسيّ المعروف بالمجيء

٤) كتب في الهامش: « آبيا جدّ زكريا من نسل قنحاس »

وهذه الكتابة الاولى كانت في ولاية قورينوس الوالي بسوريا وهي بلاد الشام لان كل والٍ أحصى ولايته. واخذ كل انسان في الانطلاق الى مدينته ليكتب بها. والسرّ الالهي في ذلك ليعود يوسف بمريم الى بيت لحم فيولد السيد المسيح بها. فتمّ نبوة ميخا النبي في ذلك. وكان أصعد يوسف ايضاً من ناصرة مدينة الجليل الى ارض اليهود الى مدينة داود المدعوة بيت لحم لانهُ كان من بيت داود ومن قبيلته مع مريم خطيبته وهي حامل اذ ذاك ليكتب هناك. وفي حال كونهما هناك كملت ايامها لكي تلد فولدت ابنها البكر وبنا بكر من امهِ بالجسد ومن الدهاذ بحلول الروح ومن القيامة بما لم يعاوده الموت ومن الله بالشرف التام. ودرجته في قمط والقنهُ في معلف اذ كان سرّ جسده علف الحياة لحيوانية الانسان الباطنة لانهُ لم يكن لهما هناك مكان لائق لتسهيده بالمنزل الذي حلّا فيهِ. وكان هناك رُعاة اغنام بالقرب من الموضع الذي نزلا فيهِ وكانوا يحرسون هزيع الليل بالنوبة على مراعيهم. واذا ملكٌ الله قد اتى عليهم وبعد الغرب اشرق عليهم باستنارة عقولهم لهاء الملاك فعرفوا فرقاً عظيماً حدًّا لكان القمر والناس وهجوم الملك سنةً وعدم الفهم بمشاهدة الرؤيا. فقال لهم الملك: لا تخافوا لاني مبشركم ببشرة عظيمة تكون مسرّتها لجميع الامم فانهُ قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المرب المسيح في مدينة داود وهذه الدلالة لكم فيهِ انكم تجدون طفلاً مقمطاً في قمط موضوعاً في معلف. وفي الحال بغتةً شوهد مع الملك كثيرون من اجناد السماء ليحقق شرف الولادة وخدمة المولود اذ يمجدون الله تسبيحاً ويقولون التسبيح لله في العُلى كما يحقّ لعلوّ عظمته وعلى الارض السلام بشارةً بزوال الخرف الكائن بمعصية آدم ووقوع الامن من الخطيئة المؤمنين والرجاء الصالح لابن البشر بحلول اتحاد اللاهوتي بهم والنعم السمائية المعدَّة لهم. ولما انطلقت الملائكة من عندهم الى السماء تكلم الرعاة بعضهم مع الآخر او بعض قايلين: هلم ننطلق الى بيت لحم. فتأمل هذه الكلمة التي حدثت حسبما اعلمنا الرب. واتوا بسرعة وحرص فوجدوا مريم ويوسف والطفل موضوعاً في المعلف. ولمّا شاهدوا ذلك بُهتوا وذاعوا الكلمة التي خوطبوا بها في معنى الصبي وكل الذين سمعوا الخبر تعجبوا ممّا خوطبوا بهِ من الرعاة. فاما السيدة مريم فكانت تحفظ جميع هذه الاقاويل وتفسيها في قلبها فتجدها متفقة الى قول الملاك المبشر لها وقول زكريا لما تنبأ ونطق بعد ارتتاجهِ عند وجود نجلهِ وقول اليشبع عند سماعها سلامها وارتتاج جنينها وقول الرعاة هاهنا. ورجع اولايك الرعاة وهم يمجدون الله ويحللون تسبيحاً على جميع ما شاهدوه وسمعوه حسبما خوطبوا بهِ »

فترى من هذا المثال انَّ يشوعياب عرَّب فصل لوقا ببعض التصرُّف وادمج فيهِ شروحاً وجيزة افادةً للسامعين. وهكذا فعل بقيَّة الفصول الانجيليَّة الى آخرها وهو الانجيل المرتَّب للاحد الرابع من تقديس البيعة من بشارة متى الرسول حيث يقول: « والما كان المتزلة (١ مجتمعين سألهم السيد المخلص وقال: ماذا تقولون في المسيح ابن من هو... الخ »

(١) هم الفريسيون

وفي آخر ورقة من الكتاب ما حرفهُ وهو مكتوب بالمداد الاحمر:

« تمت فصول الانجيل (التي) تقرئ في اوقات الصلوات على ما رُتب بالدير الاعلى وهو الطخر الموصلي وذلك مما اصلح في نقلهِ ورتبهُ ووشحهُ ولمّعهُ بشرح نكتهِ وما غمض من معانيهِ باختصار ليقرُبَ للسامعين و يخف على القارئين الاب القديس الفاضل المطران المعظم مار ايسوع باب ابن ملكون من اهل دنيسر نيح الله روحه وحرسنا بشفاعته وبشفاعة الطاهرة العذرى مارت مريم وبصلوات السليحين وجميع القديسين امين »

ويليهِ بالمداد الاسود:

« ووقع الافراغ منهُ في سنة الف وخمسماية واربع واربعين يونانية يبقي هجرية سنة ستماية واحدى وثلاثين (١٢٣٣ م) والحمد لله دائماً سرمداً على نعمائه الى ابد الابدين والى دهر الداهرين امين. وذلك بيد العبد الخاطي الراجي رحمة من الله وغفران يوحنا الخاطور (؟) في خدمة البيع المقدسة العالية المشيدة مار قرياقوس بالقرية المحروسة لك دارى في بلد بازبدى والحمد لله رب العالمين »

وفي ظهر الورقة الاخيرة التي اشرنا اليها آنفاً ما صورتهُ

« هذا كتاب الانجيل برسم الخزانة العامرة للرئيس الاجل المحترم السيد الذ . . . المرتضى المختار المؤمن هرمز من القرية المذكورة حرسهُ الله تعالى وتقد . . . وايده لقرأتهِ واعتراف معانيه ولزوم بصلاة البتول الطا . . . العذرى مارت مريم وبشفاعة جميع القديسين امين »

ومن جملة ما رأيناه في هذا الكتاب من الاعياد والتذكارات ما يأتي:

١ لذكران الشاهد الفاضل مجيب الدعوات مار كيوركيس الواقع في الرابع والعشرين من شهر نيسان. من انجيل متى الرسول
٢ لذكران الربان هرمزد. اقرأ قريان الاحد الاول من ساوع مار موسى
٣ قريان السجدة في القسطنطيني. من انجيل يوحنا الرسول
٤ يوم الثلثا من شبّت شبي (١) من انجيل لوقا الرسول. قال في اوله: « ومن بعد ذلك اثنان من تلاميذ السيد المخلص في ذلك اليوم اي يوم احد القيامة كانا ماضيين الى قرية تدعى عماوس. وهي بالبعد من اورشليم نحو ستين غلوة والغلوة سبع الميل والميل ثلث الفرسخ. الخ
٥ الجمعة الثانية من الدنح وهي ذكران نطروس وفولوس من انجيل متى الرسول

ومن ترتيب الاناجيل يتضح ترتيب الاعياد كلها عند الناطرة في القرن الثالث عشر للمسيح ومن جملة اعيادهم: ذكران ملاقنة اليونان وذكران ملاقنة السريان ومار فثيون الخ . . .

(١) وهي السبة التابعة لاحد القيامة وفيهِ ذكر مضيّ السيد الى قرية عماوس

وقد استدللنا من بعض اوراق مضافة الى الكتاب ان بعض الكهنة كانوا يفتتحون قراءة فصول الاناجيل بخطبة وجيزة او مقدّمة . واليك صورة واحدة منها نقلناها من هذه الاوراق التي هي مكتوبة بخطٍ يختلف عن كتابة الانجيل لكنها لا تقلّ قدماً عن الاولى

« التسبيح لله دائمًا ابدي . ان اول ما رُنّمت به غرر الطروس . واجلى ما نُقشت به فطر النفوس . والذّ ما نعمت لهُ الاسماع . وجنى منهُ الموقنون ثمر الانتفاع . ما اورده محتصر البشارة المسيحية . والمقتصر على ايراد الاشارات السليحية . جالي نُكت الاقاصيص . ومسند الحقايق من شؤون المخصيص . ذو العبارات الانيقة . والاختصاصات الدقيقة . البادي في بشارته بذكر التوبه . والهادي الى اشرف الخلايق الامة المدعوه . مظهر الدرر المنوبه . من جلال الصدفة الشمونيه . المرتفع من كدر الهيولانيات بالطافه والصفا . والمرتضع بحوم الروحانيات من شمون الصفا . التليذ المبين والمذب المعين جالب الدر الثمين . من مرقوش البشير احد السبعين يبشر ويقول . . . »

ويلي هذه المقدّمة خطب أُخرى مثلها على شكل المقدّمات التي صنّفها ابو الحليم ونُشرت في آخر خطبه السابق ذكرها

مُلحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

بينما كنّا ساعين في نشر المقالة السابقة اتانا عدد تشرين الثاني وهو الحادي عشر من السنة الجارية من مجلّة المقتطف . ومن مضامينه فصلٌ للمنشئ الاديب امين افندي ظاهر خير الله نقلهُ عن « ترجمة قديمة من الانجيل » ظفر بها في احد اديرة لبنان وطلب من المقتطف رأيهُ فيها . فاثبتت المجلة الفصل المذكور دون ان تُبدي في الترجمة رأياً الّا انّها اصابت غلطاً تاريخيًا للناسخ . فرأينا أن نُفيد السائل عمّا طلب

فنقول : انّ صاحب هذه الترجمة للاناجيل المقدّسة هو عبد يشوع الصوباوي احد مشاهير كتبة النساطرة في اواخر القرن الثالث عشر اسمهُ عبد يشوع بن بريخا سُقّف اولًا على مدينة سنجار وبيت عربايا سنة ١٢٨٥ ثم نُقل الى كرسي نصيبين وبلاد ارمينية